المرحلة الانتقالية من المقاومة العسكرية إلى المقاومة الثقافية وتجاوز المأساة الوطنية جهود جمعية العلماءالمسلمين.

The shift from military resistance to cultural resistance and the efforts to transcend the national traged: A study of the role of the association of Algerian Muslim scholars

د. سفيان شلالي1،*

1المدرسة العليا للأساتذة- مستغانم - (الجزائر)Soufyane.chelali90@gmail.com

مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة باتنة1

تاريخ الإيداع: 2025/07/01 **تاريخ المراجعة**: 2025/09/08 **تاريخ النشر**: 2025/10/01

ملخص:

مهدت العوامل السياسية والثقافية والاجتماعية في الجزائر إلى نهضة أدبية وفكرية حضارية قوية، تمخض عنها بروز تيار اصلاحي واعد يؤمن بضرورة المقاومة ومحاربة الفكر الاستعماري والتطرف الديني (الطرقية)، فحملت على عاتقها إعادة بعث الروح الوطنية، انطلاقا من تغير المفاهيم التي كانت سائدة أثناء الانتكاسة الثقافية الممتدة من فترة نفي الأمير عبد القادر إلى غاية تأسيس جمعية العلماء المسلمين وبروز حركة الوعي الذاتي لدى المثقف الجزائري، فجاهدت الجمعية إلى تجاوز المأساة الوطنية وإعادة البعث والتأسيس لأدب جزائري خالص يعبر عن كيونة الفرد الجزائري وخصوصيته وهويته الثقافية والاسلامية. وعليه كيف ساهمت مرحلة تجاوز المقاومة العسكرية إلى المقاومة الثقافية وكيف انعكست على الأدب الجزائري؟

الكلمات المفتاحية: المأساة الوطنية الأولى-من المقاومة العسكرية إلى المقاومة الثقافية- حركة الوعي الاصلاحي- الشعر الاصلاحي .

Abstract:

The political, cultural, and social dynamics in Algeria laid the groundwork for a profound intellectual and literary awakening. This transformative period witnessed the emergence of a promising reformist movement that emphasized the necessity of resisting both colonial ideology and religious extremism, particularly the mystic sectarianism of the time. This movement assumed the responsibility of rekindling national consciousness by challenging and reshaping the prevailing notions inherited from the long phase of cultural decline, which had stretched from the exile of Emir Abdelkader to the founding of the Association of Algerian Muslim Scholars. With the rise of a new sense of self-awareness among Algerian intellectuals, the Association waged a moral and cultural struggle to overcome the collective trauma of colonization. Its aim was to lay the foundations for a distinctly Algerian literature—one that authentically articulated the identity, individuality, and cultural-Islamic essence of the Algerian people .

*** المؤلف المراسل. د. سفيان شلالي.**

This paper seeks to explore how the transition from armed resistance to cultural resistance influenced the trajectory of Algerian literature, and in what ways this shift contributed to the redefinition of national identity through reformist poetic expression.

Keywords : First National Tragedy – From Armed Resistance to Cultural Resistance – Reformist Consciousness Movement – Reformist Poetry

مقدمة:

لقد كانت الجزائر منارة ونور للعلم والتعلم، أضاءت بها المغرب العربي عبر عصور عديدة ، وهذا بما كانت تزخر به من علماء أجلاء كرسوا أنفسهم لخدمة العلم واللغة العربية خاصة ،ممهدين لبداية نهضة أدبية واعدة في الجزائر وتعزيز رصيد الأدب الجزائري بمكتبة كبيرة وثرية عبر مراحل زمنية متعدة وهو ما نسميه اليوم بالأدب الجزائري القديم، هذا الأدب الذي عزز هوية المجتمع الجزائري وبين قدرته على مواكبة كل التطورات المعرفية الحاصلة في العالم والوطن العربي، خاصة عبر الرحلات العلمية التي كان يقوم بها هؤلاء العلماء من أجل ترسيخ التلاقح الثقافي، فكانت الأطماع الخارجية تصوب نظرها لهذا البلد الزخي بهذه المعارف والقيم الكبيرة التي يحتويها ، فما كان إلا أن تم غزو الجزائر من طرف الاستعمار الفرنسي سنة 1830 الذي عمل جاهدا لإطفاء شمعة العلم والنور.وهو ما كان. فجمع جيشه وأيَد جنده لهدم صومعة العلم والمعرفة وطمس الهوية الثقافية واتخاذ سياسة التجهيل على الشعب الجزائري، واستبدال اللغة العربية بالغة الفرنسية وخلق خطاب استعماري هجين يدافع عن الفرنسية ويهدم الغة العربية.

وفي خظم هذه السياسة ولدت ردود أفعال مناقضة لهذه السياسة الاستعمارية ألا وهي المقاومة الشعبية التي حاولت جاهدة لمواجهة هذا العدو بكل الوسائل والسبل، غير أن المقاومة هنا كانت مقاومة عسكرية سياسية فقط أهملت بها الجانب الفكري والثقافي باعتباره أول نواة للمقاومة. فكانت كل المقاومات الشعبية هدفها إخراج الاستعمار الفرنسي بقوة السلاح، غير أن مقاومة الأمير عبد القادر اختلفت في توجهها، فالرجل رائد الأدب الجزائري الحديث ومؤسس الدولة الجزائرية تفطن لظرورة العمل الثقافي والعسكري معا، فما كان منه إلا أن كان سباقا في العلم والثقافة منذ صغره فتعليمه وتكوينه الثقافي جعل منه أول نواة لبداية التأريخ للأدب الجزائري الحديث فعرفت مرحلته تطورا فكريا نوعيا خاصة في منطقة الغرب الجزائري طوال خمسة عشر سنة من المقاومة والنضال الفكري والعسكري، إلى غاية استسلامه..

لقد مثلت مرحلة نفي الأمير منعرجا إلى بروز الانتكاسة الثقافية الأولى، فكان لنفيه أثرا كبيرا في خمول الثقافة وغيب على المجتمع الجزائري الجهل والخمول ،بعد استسلام حامل لواء الجزائر الأمير عبد القادر، فمرت هذه المرحلة في صمت رهيب وشاعت الأمية والجهل و بسطت الطرقية هيمنتها على المجتمع الجزائري وسار يسير نحوها ويتخذ منهجها هو الطريق الأوحد للخلاص وهو ما ساندته فرنسا في هذا الباب، وفي خظم هذه الأحداث ولد جيل جديد توعوي ناضج بفكر تنويري مغاير وهو جيل جمعية العلماء المسلمين ونخص بالذكر عبد الحميد بن باديس الرجل الذي غير مفاهيم العلم والتعلم، فرأى ما كان من تبعات الاستعمار ومخلفاته ، فالتقى بالبشير الإبراهيمي في مكة ودرسا معا طريقة الخروج والخلاص مما هم فيه فكان منهما إلا التفكير في إعادة بناء ما خلفه الأمير وترميم ما وجب. ولكن هذه المرة الاستعداد التام للمقاومة الثقافية بدل

العسكرية، وهو ما حصل فعلا، فبعد تأسيس الجمعية بدأت حركة الوعي والنضال تدب في نفوس المجتمع الجزائري وظهرت بوادر الانفراج حينما أنشأت جيلا جديدا أسس لاندلاع الثورة التحريرية المباركة انطلاقا من محاربة الطرقية ونفي الخطاب الاستعماري وثقافته المظلة ، وهو ما حقق الاستقلال على يد جيل واع ومثقف كتبت أسماؤهم بماء الذهب في تاريخ الجزائر. وعليه نطرح الاشكال التالي كيف ساهمت مرحلة تجاوز المقاومة العسكرية إلى المقاومة الثقافية وكيف انعكست على الأدب الجزائري؟

1- المأساة الوطنية الأولى :

بعد نفي الأمير عبد القادر المحرك الرئيسي لجبهة المقاومة(السلاح والقلم) حدثت طفرة نوعية قاتلة في مسار حركية الأدب الجزائري باعتباره الملهم الأول لها، فبخروجه استغلت فرنسا ضعف الجزائريين من جميع النواحي وأشبكت يدها على كل المقومات الحضارية والفكرية وبات هذا الشعب منصاعا لأوامر الطرقية والتطرف والابتعاد عن نهج الأمير ومن والاه **كمحمد الشاذلي القسنطيني وحمدان بن عثمان خوجة** وغيرهم...

فبدأت تظهر بعض المظاهر التي تعكس ذلك الوضع، فنجد بعض الأعمال التي أصبحت تخدم القضية الفرنسية بأقلام جزائرية وتشيد بفضائل الحضارة الفرنسية وتنشر شعاراتها البراقة المضلة، من مثل هذه المرحلة هي الرحلة الصيامية لسليمان بن صيام، والرحلة الثانية بعنوان الرحلة القادية في مدح فرنسا وتبصير أهل البادية لأحمد بن قادة[1]، وكلتا الرحلتين كانتا على نفقة فرنسا، فوصفت فيهما على أنها دولة مسالمة جاءت لتنور عقول الجزائريين في شتى الميادين، كما شددا على إعجابهما بفرنسا وسياستها وأرضها وإنسانها ونظامها، وقد حفل نص الرحلتيين بحشد من الألفاظ الفرنسية بالإضافة إلى الضعف اللغوي وركاكة التعبير، إلى جانب الرحلتين نجد عمل آخر ظهر في هذه المرحلة وهو نص لمصطفى بن ابراهييم بعنوان حكاية العشاق في الحب والإشتياق، فكانت هذه القصة الشاهد على تلك الفترة بحيث أنها لم ترق إلى المستوى فشاعت فيها العامية بكثرة، ضعف التصوير، ضعف الحبكة، ضعف الصياغة[2].

ويمكن أن نجمل القول في أن التعبير في هذه المرحلة كان ضعيفا جدا، وهذا الأمر عكس بدوره صورة المثقف في هذه الفترة الزمنية في الأدب الجزائري، وصورة اليأس الذي خيم على المجتمع فمضى الضعف اللغوي يسيطر على كل شيء وفي مقدمتها اللغة العربية وضعف الأسلوب الأدبي.

1-1-مظاهر الانتكاسة الثقافية:

- تشرد الأدباء والشعراء االوطنيين واندمج بعضهم في حركة المقاومة فلم بعد يهمهم الأدب الجميل ولا االذوق الفني الراقي.
- هجرة العلماء والمفكرين في الأقطار العربية وخاصة المشرق.
- ضعف اللغة العربية وشيوع الجهل والأمية .
- استبدال التعليم من العربية إلى الفرنسية.
- خصوصية الفرد الجزائري ودعوته إلى التحرر والتفكير في صنع ملحمة تاريخية يحقق بها حريته.
- ظهور العامية في معظم النصوص الأدبية.

وقد ضلت هذه المرحلة المحرك الرئيس لحركة اصلاحية تنهض بالأدب الجزائري وتقاوم الظروف الحاصلة في البلاد ككل. ومنها ولد مجموعة من الرجال حملوا على عاتقهم إعادة البعث ، وهو ما قام به الرجل المصلح عبد

القادر المجاوي ورجال الحركة الاصلاحية من بعده. بعد أن تغلغل الضعف والوهن في المقاومات الشعبية المسلحة و أصبح العمل المسلح عقيما ؛ منذ أن فرض الاستعمار الفرنسي نفوذه على أغلب مناطق البلاد،كان لزاما على الجزائريين انتهاج أسلوب جديد في مقاومة الاستعمار الفرنسي،و هي المقاومة الثقافية أو ما يعرف بحركة الوعي الاصلاحي.

وقد اعتمدت على أسلوب مختلف كلياً عما كان عليه سابقا، فرفعوا لواء الاصلاح الشامل وأسسوا المدارس والنوادي الثقافية و أصدروا الجرائد و الصحف،و شاركوا في الانتخابات في محاولة لتحصيل حقوقهم أو على الأقل إصلاح أوضاع الجزائريين، كل هذه الاصلاحات أثمرت إلى تغيير مفهوم المقاومة، من المقاومة العسكرية والسياسية التي باءت بالفشل مع جميع الثورات الشعبية، إلى المقاومة الثقافية وهي التي آتت أُكلها فيما بعد وإخراج جيل جديد يؤمن بظرورة التحرر في جميع المجالات.

2- من المقاومة العسكرية إلى المقاومة الثقافية:

لقد كان ظهور الوعي الاصلاحي حلقة مهمة في زعزعة استقرار الاستعمار الفرنسي وبسط هيمنته على الجزائر، وأدركت الخطر العظيم الذي سيأتي من هذا التحول الجديد في مسار الجزائريين، وحاولت جاهدة لقمعه والتثبيط من عزيمته بإتخاذ العديد من الاجراءات في هذا الصدد الذي باءت بالفشل رغم كل المحاولات المزعومة، لأن هذا الميلاد لم يأت من فراغ بل انطلق من نبع صاف شرب منه رجال الحركة الاصلاحية نذكر منها أهم عنصر وهو:

2-1- جهود بعض العلماء ومؤلفاتهم:

لم تأت مرحلة الوعي من فراغ بل انطلق من مقومات أهمها جهود العلماء الأوائل في ترسيخ القيم الاصلاحية، أول هذه الشخصيات المهمة هو الشيخ عبد القادر المجاوي الرجل المصلح الرباني الذي لعب مساره التربوي والعلمي مسلكا مهما في تغيير بعض الأطر والمهام، خاصة لأهم شيء ركز عليه رحمه الله وركز عليه رجال الحركة الاصلاحية وهو التعليم حيث يقول في فضل العلم " ...هيهات أن يستقيم حال المسلمين إلا بالرجوع إلى الَتربية وتعلم العلم اليقيني على قانون الشرع المتكفل بتَرجيح الأعمال وإشراب العقول، وحب المسابقة إلى الفضيلة التي هي العدل في سائر أعمال الانسان..."[3]. وهذا هو الأساس الأول الذي بنت عليه الجمعية شعراها ونهجها وتطبيق هذا المعيار، ويظيف أيضا حول أهمية تعلم اللغة العربية في كتابه ارشاد المتعلمين " واعلم أن اللغة العربية هي أقدم لغات العالم المستعملة الآن وأوسعها، وفضلها عن غيرها يشهد له من يعرفها ولو كان أعجميا "[4].

فمنطلق الوعي الاصلاحي جاء نتيجة للحركة التوعية الأولى لهذا الرجل، فقد أكد شعار الجمعية على جرائدها التي كانت تنشرها عبار أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، فهذه هي عقبة التجديد والتغيير التي رسمت في أذهانهم فحاولو إعادة بعث تلك المنظومات الأولى في تقويم المجتمع الجزائري واخراجه من الجهل والأمية. وهذه المقومات جاءت من الاطلاع على ما أنتجه هذا الرجل من علوم ومعارف عديدة أهماه

كتاب إرشاد المتعلمين الذي يعد اللبنة الأساس في ترسيخ العلم وتعلم اللغة العربية وكذا إعادة تغيير نظام التعلم.

بالاضافة إلى شخصية المجاوي نجد إلى جانبه شخصية حمدان بن عثمان خوجة الرجل المصلح الذي حاول مقاومة الاستعنار الفرننسي فكريا وثقافيا عبر جهود مبذولة قام بها الرجل في سبيل تنوير العقول الجزائرية " ولهذا يعد عثمان بن حمدان خوجة من بين أهم الشخصيات الجزائرية التي تمتعت بثقافة واطلاع واسع في هذه الفترة من تاريخ الجزائر ويعد عالما كبيرا له فصاحة في الرأي وتلاعبا بمترادفات الألفاظ والأفكار"[5]. كيف لا وهو الذي يتكلم اللغة الفرنسية بسهولة مطلقة ويهضم اللغة العربية و التركية بمرونة حيث عمل كمترجم بالمطبعة العامرية بالقسطنطينية وكانت له علاقة متينة ببعض الشخصيات التي ساعدته على اتقان اللغة العربية والإنجليزية، وهذا التكوين هو ما سمح له بالاطلاع على مختلف العلوم التي يكتبها الآخر ويحقق منها ما يريد من معرفة وعلم.

2-2- الجهود المعرفية المؤسسة لبعض المؤلفات:

تعد المؤلفات التي أنتجها علماء الجزائر من بين أهم المكونات الرئيسية في تقويض الفكر الإستعماري ومحاربة كل الادعاءات الممولة من طرف الاستعمار الفرنسي عكس بعض المؤلفات التي كانت تسير وفق نهج الاستعمار الفرنسي كبعض الرحلات الجزائرية. لقد كان لمؤلف ارشاد المتعلمين لعبد القادر المجاوي وكتاب المرآة لحمدان بن عثمان خوجة نبراس وقبس يضيئ النور لرجال الحركة الاصلاحية وتنوير عقولهم بتبيين سياسة فرنسا في فرنسا وسياستها في الجزائر .

لقد احتوى كتاب المرآة جل النقاط المهمة المعرفة بسياسة فرنسا في الجزائر والمحاولات القمعية التي تقوم بها في حق الجزائريين فقد " اعتبرت الحكومة الفرنسية حمدان بن عثمان خوجة المحرض الأول على الفتن في الجزائر معتبرة كتاب المرآة وثيقة خطيرة تهدد الاحتلال الفرنسي للجزائر، لذلك قررت فرنسا أن تصادر جميع ممتلكات المؤلف، ثم محاكمته في الجزائر غيابيا رافضة بذلك كل الشكاوي التي يتقدم بها من قبل، ولم تستجب حكومة الاستعمار الفرنسي لشكاوي الجزائريين الذين طالبوا بالكف عن تضييق الخناق على حمدان خوجة وغيره من علماء الجزائر وأعيانها، بل قوبلوا جميعا بالاهانة والسخرية"[6].

كما ساهمت مؤلفات الشيخ عبد القادر المجاوي التوعوية منها كتاب ارشاد المتعلمين هذا الكتاب الذي يعد أنفس ما جاد به قلم الشيخ في الكتاب الذي ذكر فيه أهمية العلم والتعليم وتحسين ظروفه كليا ،مما يجعل من مقاومة الاستعمار الفرنسي واجبا ومشروعا، فقد عمل عبد القادر المجاوي منذ أن كان في المدرسة الكتانية بقسنطسنة يدرس فيها وينور عقول الطلبة، وقد كان جل تعليمه خارج المدرسة باعتبار أنه كان مراقبا من طرف الاستعمار الفرنسي، فحاول ربط المعارف الصحيحة للتعاليم الدينية ومخالفة الطرقية المؤيدة للإستعمار الفرنسي، فزاد نشاطه العلمي حين انتقل إلى المدرسة الثعالبية بالجزائر العاصمة، فكل ما قام به هذا الرجل قد وجد فيه عبد الحميد بن باديس دعوة هؤلاء المفكرين الداعين للتجديد والتغيير ، الذين يعدون من رواد التنوير في الجزائر، حيث أدرك أن للحضارة دورات، وأن أوروبا تأثرت بالعلم والمعرفة العربية في العصور الوسطى، لذلك نراه يؤكد أن المدينة الإسلامية نقلت أصول المدنيات السابقة نقل الأمين ونخلتها نخل الناقد البصير، وزادت عليها من نتائج أفكار وثمار أعمالها ما كان الأساس المتين لمدينة اليوم"[7].

3-حركة الوعي الاصلاحي:

بعد استفاقة علماء الجزائر للمؤلفات الفكرية والعلمي لرواد الحركة الاصلاحية الأولى أمثال الأمير عبد القادر والمجاوي و حمدان خوجة والشاذلي القسنطيني وابن الموهوب وغيرهم مثال على تحريك المقاومة الثقافية وتخريج المكنونات العلمية من أجل التحضير للمقاومة الثقافية ، فالمنهج الذي سلكه رجال جمعية العلماء المسلمين لم يأت من فراغ وإنما جاء نتيجة للحركة الاصلاحية العربية التي تقودها الجامعة الاسلامية بمفهومها الواسع لضرورة التغيير والتجاوز والتخطي، استنادا لرؤية رائد الاصلاح في العالم العربي جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا على العقول الاسلامية التي انتهت إلى ضرورة تضمين المواجهة السياسية مع الاستعمار أبعادا فكرية وهوية عربية يقول الشيخ بن باديس" إن المطلع على أحوال الأمة الاسلامية يعلم أنها شعرت بالداء وأحست بالعذاب وأخذت في العلاج، وأن ذلك وإن كان بعد اليوم قليلا، لكنه بما يحوطه من عناية الله وما يبذل فيه من جهود المصلحين سيكون بإذن الله كثيرا، وعسى أن يكون في ذلك خير لأمم الأرض جميعا [8] .

3-1- التعليم الركيزة الأول للوعي االاصلاحي:

لقد أدرك علماء الاصلاح في الجزائر أنهم في حاجة إلى وعي إصلاحي جديد يساهم في الحفاظ على الشخصية الاسلامية الجزائرية المحافضة على موروثها الفكري والثقافي كمشروع حضاري لهذا كان شعار الجمعية الملهم لايصل أخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها وهو مبدأ مقدس، ففهموا أن الوسائل القديمة في طريقة التعليم يجب أن تتغير وهو ما ركز عليه عبد القادرالمجاوي في تغيير طريقة التدريس والتعليم الموروث من المرحلة العثمانية الذي لم يأت بنتيجة مفيدة، لذلك سرعان ما أدرك العلماء أنهم في حاجة إلى تطوير الأساليب القديمة في التعليم وتطويرها بحيث تصبح ندا للتعليم الأوربي فقد" كان التعليم وفق منهج جمعية العلماء المسلمين مشروع احياء وبعث مجتمعي، أدرك من خلاله منضوره حالة الغيبوبة التي لبست بالتعليم التقليدي، الذي افتقد فاعليته الثقافية وماتت في الروح المتوثبة إلى تغيير وضعها، وركن إلى حالة من الاجترار والتكرار التي تشبه الدوران في الفراغ" [9] .

من خلال هذه النقلة النوعية أدرك طلاب الجمعية إلى الرسالة المنوطة بهم في فهم تعاليم الدين الصحيح وتغيير طريقة التدريس وتلقي العلم القويم الممنهج على أسس سليمة، ومنه محاربة الفكر الاستعماري المناهض للغة العربية، فكان أول مثال لنشاط الحركة تأسيس المدارس يقول البشير الابراهيمي " فالمدرسة هي جنة الدنيا والسجن نارها والأمة التي لا تبني المدارس تبنى لها السجون، والأمة التي لا تصنع الحياة تصنع لها الموت ، والأمة التي لا تعمل لنفسها ما ينفعها ويسعدها يعمل لها غيرها ما يضرها ويشقيها ... المدرسة هي طريقة الحياة، وطريقة النجاة وطريقة السعادة، وأن الوطن أمانة الاسلام في أعناقها"[10] .

كما تعددت مجالات الجمعية في تطوير التعليم وذلك بتأسيس النوادي العلمية والصحف والمجلات التي ساهمت في كثير من الأمور الدفعية ضد الاستعمار الفرنسي وتقويض الخطاب الاستعماري ومواجهته بشتى الوسائل من أجل إعادة اللغة العربية إلى واجهتها ، و تحقيق النبوغ الثقافي لدي الجزائرين. وهو ما أثمر اندلاع الثورة التي اخرجها جيل تكون في مدارس جمعية االعلماء المسلمين.

4-الشعر الاصلاحي :

ساهم الشعر الاصلاحي إلى ابراز قيمة الهوية الجزائرية حيث كان للجمعية العديد من الشعراء الذين تنوعت مواضيعهم الشعرية في محاربة الاستعمار الفرنسي، يقول ابراهيم بن أبي اليقضان في المدرسة:

و ما الفضل إلا للمدارس إنها ،،، مغارس مجد الشعب في كل أزمان

هي الأم هي المهد للأمـــة ،،، رأت أن تعيش بين سائر أقران

فما مات شعب ضم بين ربوعه،،، مدارس علم وهي مورد ضمان[11]

أقر الشاعر هنا بضرورة التمسك بالجذور الأولى التاريخية لأنه لا يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فالجيل الأول يؤكد عليه الشاعر في الدعوة إلى التمسك بالتعليم كحل نهائي لمواجهة الاستعمار . حيث كان لابن باديس نظرته الخاصة لهذا النوع من التعليم فهو يرى بأن "هناك تلازما بين المسجد كمؤسسة تربوية و التعليم كوظيفة أساسية من وظائفها، لذلك ركزت الحركة الإصلاحية على إقامة المساجد التي لم تعد فضاء لأداء العبادة فقط بل تعدت ذلك و صارت مكانا لنشر العلم، وإيقاظ الوعي لدى الجزائريين [12].

فصلاح الأمة في صلاح تعليمها على حد تعبير ابن باديس ، الذي يرى بأن التعليم بأبعاده التربوية هو حجر الأساس في كل عمل لذلك عمل جاهدا هو وتلاميذه من العلماء ، الذين ساعدوه على دعم المشاريع التعليمية و انجاز المدارس[13].

ومن طرق التعليم أيضا محاربة الطرقية والتطرف التي ذاع صيتها في عهد الاستعمار وخلفت آثارا جسيمة لدى العقل البشري الجزائري، يقول محمد السعيد الزاهري في هذا الباب:

كانوا طوائف شتى، كل طائفة تطيع شيخا لها في كل ما زعما

إن قال إني(ولي)صدقوه وإن هو ادعى الغيب، قالوا أحكم الحكما

وإن تعلم بعض الشيء تهجية قليلة، هتفوا يا أعلم العلما

وإن هو ارتكب الفحشاء فاضحة فلا محالة، معذور وقد أثما [14]

"إن التعليم العربي الحر كما لاحظنا كان مقصورا على التعليم الابتدائي ،غير أنه يمكن القول أن هناك ما يشبه التعليم الثانوي الحل أيضا ، وهذا النوع كانت تقوم به بعض الزوايا مثل زاوية الهامل وزاوية اليلولي ، وزاوية ابن الحملاوي ، ومعهد الحياة في ميزاب ومساجد الجنوب عموما ، وهذه المؤسسات كانت تعلم العلوم الإسلامية والفقه وعلوم اللغة ومختلف المواد المكملة لثقافة عربية إسلامية متينة[15]"

ومن التعليم الذي أشادت به الجمعية الدعوة إلى تعليم المرأة،فقد دعى محمد العيد آل خليفة إلى تعليم المرأة وتربيتها تربية صحيحة صالحة ويظهر ذلك جليا في أبيات شعرية قالها هذا الشاعر المصلح حيث يقول:

إنَّ الذي برّ أَ الجنسينِ خوَّ لها حقُوقها في كتابٍ منه مسطورٌ

لو أنّها اقتَبستْ من نورهِ وجنَّتٍ من رَوضةٍ التحقتْ في الظهرِ بالحورِ

عافَت تقاليدَها المُثلى وقدْ سطَعت أنوارُها وارْتَمت فِي كلِّ ديجور

ما جلُّ آرائِها ،المستحدثَات سِوَى مسْتُور ذاتَ مَداها غيَر مشكور[16].

ساهم الشعر الجزائري في تقويض الخطاب الاستعماري بكل مقوماته وأسسه وذلك من خلال الانتاج الكبير للعديد من الشعراء أمثال بن باديس والبشير الابراهيمي ومحمد السعيد الزاهري وأحمد سحنون وغيرهم

كثير، في مواجهة كل التحديات التي واجهها الشعب الجزائري حيث برز في فترة ممتدة منذ تأسيس الجمعية إلى غاية الاستقلال، فقد كان الشعر في هذه المرحلة اكثر حضورا من الجانب النثري كالرواية والقصة.

الخاتمة:

بعد هذه الدراسة الوجيزة نوجز ما يلي في نقاط:

- -الحركة الإصلاحية لم تأت هكذا فقط وإنما هي وليدة فكرة الاصلاح ،حيث ظهرت بوادره مع علماء الجزائر الأوائل.

-الاستفادة من المؤلفات الكبيرة لبعض المصلحين الجزائريين.

-التركيز على التعليم كلبنة أساسية لبناء مجتمع واع ومثقف استطاع أن يواجه الاستعمار الفرنسي.

-الحفاظ على الهوية الجزائرية بالرجوع إلى المروث الثقافي الجزائري والتمسك به .

-محاربة الفكر التطرفي الطرقي المناوئ للاستعمار وخاصة التطرف.

- اثراء الرصيد الثقافي بالوعي الاصلاحي عن طريق النشر في المجلات والدوريات.

- حظور الشعر في هذه المرحلة بالذات والتعبير عن القضية الجزائرية.

سيطرت الشعر على مجمل المقاومة الثقافية باعتباره ينبع من النظرة التفاعلية و عدم التأني في التعبير.

هوامش وإحالات المقال

[1] عمر بين قينة: في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وانواعا وقضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، الجزائر، 2017، ص 195.

[2] المرجع نفسه197.

[3] عبد القادر المجاوي: مجلة المعاش، المغرب، 1903، العدد 12، ص1.

[4] عبد القادرالمجاوي : ارشاد المتعلمين،تحقيق عاجل بن الحاج همال االجزائري، درا ابن حزم بيروت لبنان، ط1، 1429ه/2008م،ص33.

[5] محمد بن رمضان شاوش والغوثي محمد، إرشاد الحائر إلى آثار الجزائر، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر، ج3،الجزائر 2002،ص139.

[6] عقاب محمد الطيب:حمدان خوجة رائد التجديد الاسلامي منشورات الجزائر، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص39-41.

[7] عمار طالبي : ابن باديس حياته وآثاره، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص483.

[8] عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين،منشورات وزارة الثقافة، ج1، الجزائر، 2007، ص 166.

[9] حيسن بوبيدي: الوعي الاصلاحي بأهداف المشروع الاستعماريقراءة في خط المدافعة الثقافية عند جمعية العلماء المسلمين مجلة الربيئة، العدد العدد28 .2024،ص 3.

[10] ، محمد البشير الابراهيمي: التقرير الأدبي لجمعية العلماء المسلمين، مجلة البصائر، العدد173،172، مجلد4، 1951، ص 291.

[11] أبواليقظان إبراهيم ،الديوان، ج،1 ط2 ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر 1989،ص 129.

[12] عمار صالح عبد القادر ابن مزوز:عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة والاصلاح 1889-1940، أطروحة ماجستر، جامعة أم درمان الاسلامية،قسم التاريخ،2008.ص 170.

[13] المرجع نفسه ص .176

[14] صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ،1984ص36.

[15] أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرحلة الثورة 1954 – 1962 ،ص5.

[16] محمد العيد آل خليفة الديوان ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط2 ، 1992، ص،265-279

المصادر والمراجع

1.أبو قاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، مرحلة الثورة 1954 – 1962 .

2. أبواليقظان إبراهيم :الديوان، ج،1 ط2 ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر 1989.

3.حيسن بوبيدي: الوعي الاصلاحي بأهداف المشروع الاستعماريقراءة في خط المدافعة الثقافية عند جمعية العلماء المسلمين مجلة الربيئة، العدد العدد28. 2024.

4. صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ،1984.
5. عبد القادر المجاوي: مجلة المعاش، المغرب، 1903، العدد 12.
6. عبد القادرالمجاوي : ارشاد المتعلمين،تحقيق عاجل بن الحاج همال االجزائري، درا ابن حزم بيروت لبنان، ط1، 1429ه/2008م.
7. عمر بين قينة: في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وانواعا وقضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، الجزائر، 2017.
8. عقاب محمد الطيب:حمدان خوجة رائد التجديد الاسلامي منشورات الجزائر، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
9.عمار طالبي : ابن باديس حياته وآثاره، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
10. عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين،منشورات وزارة الثقافة، ج1، الجزائر، 2007.
11. عمار صالح عبد القادر بن مزوز:عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة والاصلاح 1889-1940، أطروحة ماجستر، جامعة أم درمان الاسلامية،قسم التاريخ، 2008.
12. محمد البشير الابراهيمي: التقرير الأدبي لجمعية العلماء المسلمين، مجلة البصائر، العدد173،172، مجلد4، 1951.
13. محمد بن رمضان شاوش والغوثي محمد :إرشاد الحائر إلى آثار الجزائر، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر، ج3،الجزائر 2002.
14. محمد العيد آل خليفة :الديوان ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط2 ، 1992.